

نَحْوَ فَهْمِ آثَارِ الْإِتِّجَارِ بِالْجِنْسِ الْنَفْسَانِيَّةِ لِإِفَادَةِ إِيْصَالِ الْخِدْمَاتِ

جَنَفِرُ مَكْوَيْدٍ

لا ينبغي لمُعِينِي النَاجِيَاتِ مِنَ الْإِتِّجَارِ بِالْبَشَرِ أَنْ يَقْصُرُوا هَمَّهُمْ عَلَى إِيْصَالِ الْخِدْمَاتِ، بَلْ يَنْبَغِي لَهُمْ إِلَى ذَلِكَ أَنْ يَبْنُوا قُدْرَةَ النَاجِيَاتِ حَتَّى يَدْخُلُوا فِي الْعِلَاجِ وَالِدَّعْمِ.

بِنَاءِ انْفِعَالَاتِهِنَّ، وَعَلَى الدُخُولِ فِيْمَا يَخْدُمُهُنَّ. وَبَعْدَ أَنْ تَعِيشَ النَاجِيَاتِ مُدَدًا مِنَ الْعِزْلَةِ الْمَكْرِيهِ عَلَيْهَا، وَفَقَدَ الْاِسْتِقْلَالَ بِالنَّفْسِ، وَالْعِبُودِيَّةَ الْقَسْرِيَّةَ، يَقْلُنَّ إِنَّهِنَّ يَشْعُرْنَ بِأَنْ لَا حَوْلَ لَهُنَّ وَلَا أَمَلٌ، وَيَجَاهَدْنَ لِيَقْعَ فِيهِنَّ أَنْهِنَّ مَقْتَدِرَاتٌ عَلَى مَهَارَاتِ الْحَيَاةِ الْيَوْمِيَّةِ، وَيَخْجَلْنَ مِنْ وَقُوعِهِنَّ فِي الْمَاضِي مَوْقِعِ الضَّحَايَا، وَيَغْضَبْنَ مِنْ فَوَاتِ تَعْلِيمِهِنَّ وَتَدْرِيبِهِنَّ الْمَهْنِيَّ. وَتَحْسُ كَثِيرَاتٌ مِنْهِنَّ بِالنِّتْيَةِ فِي بِيْدَاءِ الْبِحْثِ عَنِ هَوِيَّتِهِنَّ وَمَعْنَى وَجُودِهِنَّ. وَيُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ صَبْطُ الشَّكْسِ مِنَ الْاِنْفِعَالَاتِ وَالْعِلَاقِ بَيْنَهُنَّ وَبَيْنَ النَّاسِ أَمْرًا صَعْبًا. وَبِالْجَمَلَةِ، فَأَثَارُ الْإِتِّجَارِ بِالنَّاسِ لِلْاِسْتِغْلَالِ الْجِنْسِيِّ بِالْغَةِ عَرِيضَةٌ عَمِيقَةٌ، وَيَكْثُرُ أَنْ لَا تَفْهَمُ مَمَامَ الْفَهْمِ. وَأَيْضًا فَلَقَدْ تَبَدُّو أَمَارَاتُ الضَّائِقَةِ الْنَفْسَانِيَّةِ وَأَعْرَاضُهَا خَارِجَ الْفِئَاتِ التَّشْخِصِيَّةِ، فَتُظْهِرُ فِي التَّعَابِيرِ الْاِصْطِلَاحِيَّةِ الثَّقَافِيَّةِ الْمَعْرُوفَةَ عَنِ الضِّيقِ. فَلَأَنْظُمَةُ الرِّعَايَةِ الْمُرَاعِيَّةِ لِهَذِهِ التَّجَارِبِ مِرَاعَاةٌ مُنَاسِبَةٌ نَصِيْبًا مِنَ النَّجَاحِ أَوْفَقًا.

اضْطْرَابُ الْكَرْبِ التَّالِيِ الرَّضْحِ الْمَعْقَدِ وَخَارِطَةُ طَرِيقِهِ

ثُمَّ إِنَّ مَا جَرِي بِهِ مِنَ الْاِعْتِمَادِ عَلَى اضْطْرَابِ الْكَرْبِ التَّالِيِ لِلرَّضْحِ، بِاتِّخَاذِهِ وَسِيْلَةَ تَشْخِصِيَّةٍ فِي وَصْفِ الضَّائِقَةِ، وَإِرْشَادِ الْعِلَاجِ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ، إِنَّمَا هُوَ قَاصِرٌ عَنِ إِدْرَاكِ مَا لِهَذِهِ الصَّدْمَةِ الْمُوْهِنَةِ مِنْ آثَارِ بَعِيدَةِ الْأَمْدِ. فَوْضِعَ بَدَلًا مِنْ ذَلِكَ اضْطْرَابُ الْكَرْبِ التَّالِيِ لِلرَّضْحِ الْمَعْقَدِ، وَأَنْخَذَ إِطَارَ عَمَلِ لَفْهَمِ آثَارِ الصَّدْمَةِ الْمَعْقَدَةِ، الصَّدْمَةِ الَّتِي تَطُولُ، وَتَعُودُ مَرَّةً بَعْدَ أُخْرَى، وَتَدْخُلُ بِالطَّبْعِ فِي الْعِلَاقِ بَيْنَ النَّاسِ، وَلَا يُمْكِنُ الْإِفْلَاتُ مِنْهَا

حِينَ يَتَّجِرُ بِالنِّسَاءِ لِلْاِسْتِغْلَالِ الْجِنْسِيِّ يَقَعُ عَلَيْهِنَّ مِنَ الْعُنْفِ الْجِسْمَانِيِّ وَالْجِنْسِيِّ وَالنَّفْسَانِيِّ مَا هُوَ عَجِيبٌ، فَيَتَعَرَّضْنَ لِخَطَرٍ شَدِيدٍ، غَيْرِ مُقْتَصِرٍ عَلَى إِصَابَتِهِنَّ بِعِلَلٍ جِسْمَانِيَّةٍ قَصِيْرَةِ الْأَمْدِ، وَلَكِنْ يُصِيْبُهُنَّ بَتَلْكَ وَبِعِلَلٍ عَقْلِيَّةٍ طَوِيلَةِ الْأَمْدِ، يُمْكِنُ أَنْ تُغَيِّرَ كُلَّ التَّغْيِيرِ قُدْرَتِهِنَّ عَلَى الْاِهْتِدَاءِ لِسُبُلِهِنَّ فِي الْمَجْتَمَعِ. فَلَقَدْ تَأَخَّذَ النَاجِيَاتُ فِي عِلَاجِ مَا أَصَابَهُنَّ مِنْ حَمَّةِ (فِيْرُوس) عِوْزِ الْمُنَاعَةِ الْبِشْرِيِّ، أَوْ بِعَاطِنِ أَمْرَاضِ نَسَائِيَّةٍ، أَوْ يَمْتَنُ بِسِوَى اِسْتِعْمَالِ الْعُقَارَاتِ وَالْكَحُولِ، أَوْ بِعَاطِنِ آثَارِا مُدِيْدَةٍ لِإِصَابَةِ جِسْمَانِيَّةٍ. وَمِنْ مَبَالِغِ ذَلِكَ فِي الصِّحَّةِ الْعَقْلِيَّةِ الْقَلْقَى، وَالْاِكْتِنَابِ، وَإِيْدَاءِ النَّفْسِ، وَاضْطْرَابِ الْكَرْبِ التَّالِيِ الرَّضْحِ.

وَرَبْمَا أَدَّى اِسْتِغْلَالُ الْعَنِيفِ إِلَى أَنْ يَنْشَأَ عِنْدَ النَاجِيَاتِ سُوءٌ ظَنٌّ يَمْنُ بِبِيْذَالِ الرِّعَايَةِ مِنَ الْاَفْرَادِ وَالْاَنْظُمَةِ، فَيَعُوقُ ذَلِكَ إِيْصَالَ الْمُنْفَعَةِ تَعْوِيْقًا شَدِيْدًا. وَيَشُوْشُ الْإِتِّجَارُ بِالْجِنْسِ عَمَلًا بِأَذَلِي الرِّعَايَةِ بِخَطْفِ صِلَةِ الضَّحِيَّةِ بِالثَّقَةِ وَالْأَمَانِ. إِذْ تَعْتَمِدُ الضَّحِيَّةُ عَلَى الْمُتَجَرِّبِينَ بِهَا فِي الْمَأْكَلِ وَالْمَأْوَى، وَلَكِنْ لَا يَكُونُ لَهَا ذَلِكَ إِلَّا بِالْعَمَلِ، وَيَدْخُلُ فِي هَذَا الْعَمَلِ عُنْفٌ وَإِكْرَاهٌ جِنْسِيَيْنِ. فَالْيَدُ الَّتِي تُطْعَمُ وَتُوَوَّى وَتَعُدُّ بِطَرِيقٍ إِلَى السَّلَامَةِ، هِيَ نَفْسُهَا الَّتِي تُؤَدِّي وَتَضْطَهِّدُ.

ثُمَّ إِنَّ هَذَا الصَّرْمَ الشَّدِيْدَ لِلْعِلَاقِ التَّعْلِيْقِيَّةِ يُمْكِنُ أَنْ تَبْلِغَ الضَّحَايَا مِنْهُ مَبَالِغَ عَظِيْمَةٍ، فَيَشُوْشُ شَعُورَهُنَّ بِذَوَاتِهِنَّ، وَيُوَثِّرُ فِي قُدْرَتِهِنَّ عَلَى الْإِفْلَاتِ مِنَ الْأَحْوَالِ الْاِسْتِغْلَالِيَّةِ، وَعَلَى إِعَادَةِ

لما تُقَيَّدُ صاحبها بقيود جسمانية، أو نفسانية، أو نَضِيجِيَّة، أو بيئية، أو اجتماعية. ومما يُعَدُّ صادفًا من أمثلة الصدمة المُعقَّدة الاعتداء على الأطفال، والعنف العائلي، والأتجار بالجنس، وغير ذلك من ضروب العبودية الحديثة، أو حالات الإبادة العرقية أو الجماعية، أو حملات التعذيب المنظم. ويشمَلُ اضطرابُ الكَرْبِ التَّالِي لِلرُّضْحِ المُعقَّدِ الأعراسُ الأساس المُعدَّدة لاضطراب الكَرْبِ التَّالِي لِلرُّضْحِ (أي عَوْدُ صورة التجربة المرَّة إلى الذهن، أو تَجَنُّبُ ما يُذَكِّرُ بها، أو الحَدْرُ النفسي من آثارها، أو فرط التيقُّظ إذا تَذَكَّرت)، ويشمَلُ أيضًا اضطرابًا في تنظيم انفعالات الناجية، وعلاقتها بالناس، وتصور ذاتها، ووعيها، وأنظمة المعنى عندها.^٢ وقد اقترح اضطراب الكَرْبِ التَّالِي لِلرُّضْحِ المُعقَّد، وهو معدودٌ أحكم وأدق طريقة لوصف ما تعانیه الناجيات من الأتجار بالجنس من الاضطراب العميق في الوظائف النفسية.^٣

أَنْ يُنشَأ إدراكُ إثارة التفاعل ويُنمى وأن تُدمج فرص الاختيار والاستقلال بالنفس؛ فلقد تضرَّب العلاقة جدًّا حين يطرح طبيبٌ سريريُّ، حَسَنُ النِّيَّة، إطارَ عملٍ قانونيٍّ أو برنامجيٍّ، فيرَاهُ المَطْرُوحُ عليه تحكما وحرمانًا من حق. مثال ذلك: أن الأحاديث الدائرة حول ما يؤمَّن من طرق تربية الأطفال ويفلح، قد تأتي بعكس القصد منها، إذا سيقَّت وكانت لهجة سائقها تاديبيَّة أو أمرية تجاوز المقدار. ومن قبيل ذلك، أن التدخل الذي يعالج 'إيذاء النفس' أو 'إيذاء الغير' يمكن أن يكون على الخصوص صعبًا. إذ قد تنصم علاقة مبنية على الثقة بغتة، إذا ما أثار مُوصل الخدمة في ذهن الناجية شيئًا من ذكْر مُتجر، بتقييد حرَّبتها أو استقلالها بنفسها. فينبغي لمُوصلي الخدمة، والحال هذه، أن يستبقوا في الذهن أن فَقدَ الإرادة، وما نجم عن الخوف من مشاعر، يمكن أن تُثير القلق في الناجيات، لا بل أن تُثيرَ فيهنَّ إلى ذلك التَّفارُّق (dissociation)؛ ذلك أن ما تقدَّم ذكره من أحوال تُشبه الأحوال التي مضت على الناجيات، إنما هي مُؤدِّنة عندهن بقرب وقوع أذى أو اعتداء.

أَنْ يُدْرَكَ أَنَّ الإعراض عن المعالجة ربما كان ضرباً من ضروب التعبير عن الضائقة؛ فإنَّما الآونة التي ينبغي لنا -نحن مُوصلي الخدمة- الوقوف عليها وتأمل ما يحدث فيها، هي عند شعورنا أننا لسنا من الجدوى في شيء، أو عندما تُخرُجُ ناجية نفسها مما اتَّفَقَ على إدراكه من الوَطَرِ أو العمل، أو تُعرِّضُ عنه. فاسأل نفسك: هل تطيق فهم التفاعل بينك وبين ناجية باعتبار تاريخ الصدمة التي صدمتها؟ ومما يعينك على عملك أن تسأل زميلاً لك عما عنده من فهم عميق للمسألة. مثال ذلك: أن بعض خطط الإسكان أو الشُّروط التعليمية يمكن أن تبدو، من زاوية البرامج، منطقية، بل منطقية وضرورية. ولكنَّ من نجت من

إدماج مقاربة في الصدمة المُعقَّدة مبنية على المعرفة ويمكن أن يُنمى الأطباء السريريون والعاملون على المعونة الإنسانية قدراتهم، وذلك بأن يُدمجوا في مقاربتهم فهمهم للصدمة المُعقَّدة، فيجعلوا ذلك جسراً بين المنفصلتين: الحاجة والمشاركة. وفيما يلي خطوات يمكن أن تُعَيَّن باتباعها على تحقيق ذلك:

إدماج مقاربة في الصدمة المُعقَّدة مبنية على المعرفة

ويمكن أن يُنمى الأطباء السريريون والعاملون على المعونة الإنسانية قدراتهم، وذلك بأن يُدمجوا في مقاربتهم فهمهم للصدمة المُعقَّدة، فيجعلوا ذلك جسراً بين المنفصلتين: الحاجة والمشاركة. وفيما يلي خطوات يمكن أن تُعَيَّن باتباعها على تحقيق ذلك:

أَنْ يُقَرَّ بأنَّ الإعدادَ لإجابة غير المجاب من حاجات مَنْ تنجو مُهدِّد لتعافيها؛ فالعناية بسلامتها الجسمانية، وتغذيتها، وحاجاتها العامة في الرعاية الصحية، مُهدِّد لثبره حالتها النفسية.

أَنْ تُدمجَ عناصرُ علاجٍ مبنية على الأدلة: إذ إنَّ إدماج أفكار من الأهمودج العرفاني (cognitive model) الخاص باضطراب الكَرْبِ التَّالِي لِلرُّضْحِ قد يُحسِّن إيصال المنفعة. وهذه المقاربة مركوزة في فكرة، هي أن تقدير قيمة الذات ومركز المرء في العالم له عظيم أثر في صيانة أعراض الصدمة أو هذَّأتها. مثال ذلك: أن لَوَمَ النفس على حدوث السيئ من أحداث الحياة ثبت أنه يُعَوِّق التعافي. هذا، على أن التربية النفسية في آثار العنف الجنسي -ولا سيما الخطط التي يستعملها الجناة لعزل الضحايا وإنقاص شعورهنَّ بقيمة ذواتهنَّ- يمكن أن تُشبَّك في وضع البرامج. وينبغي أيضاً إدماج المعالجة النفسية التفاعلية، وهي معالجة قائمة على الأدلة، مركوزة همَّها في ربط أحداث الحياة -كالحرز، والتنازع بين الناس، وتغيُّر الأدوار، والعزلة الاجتماعية، كلها أو بعضها- بأعراض

الصحة العقلية في الرعاية الأولية: إذ يدعو دليل التدخل الإنساني الذي يصدره برنامج العمل على سدّ الخلل في ميدان الصّحة العقلية الفاعلين الإنسانيين إلى إدراج برامج الصّحة العقلية في أماكن الرعاية الأولية^١. وينبغي لموصلي الخدمات أن ينظروا في تعيين ممارسين مشتغلين بالصّحة العقلية في أماكن الرعاية الأولية أو في دور التوليد. ومع حاجة الناجيات من الاستغلال الجنسي إلى الرعاية القبالية وطب النساء، فقد يتجنّبن المواظبة على زيارة أطباء الأمراض النسائية وما قبل الولادة؛ ذلك أنّ الفحص عندهنّ مجلبة للضيق. وبعد، فالأطباء السريريون العاملون في هذا الميدان هم في موضع فريد يتيح إعانة الناجيات على مدّ روابط حسنة بينهنّ وبين أهل الرعاية الطبية، ثمّ إنّ عيادات صّحة الأمهات هي أماكن مثالية لاجتماع فرق تهيئة الآباء لتربية الأطفال.

جنفر مكويد jmcquaidphd@gmail.com

مُدْرِبَةٌ فِي الطَّبِّ السَّرِيرِيِّ، فِي مَكْرَزٍ يَبْدُلُ لَطَبَ الْمَلَاجِنِ، وَبَاخِثَةٌ مُرَاكِمَةٌ، مِمْتَحِنَةُ الصَّحَّةِ النَّفْسَانِيَّةِ الْعَالِمِيَّةِ، فِي كَلِيَّةِ الْمُعَلِّمِينَ، بِجَمَاعَةِ كُولُمْبِيَا

<https://medicine.yale.edu/intmed/genmed/asylum/>

١. هذه المقالة مستندة إلى عمل مؤلّفات مع الناجين من العنف الجندي، الأطفال والنساء خصوصاً، وهو عمل امتدّ ١٢ سنة في منظمة ملاذ العوائل (<https://sanctuaryforfamilies.org>) بمدينة نيويورك.
٢. Cloitre M, Courtois C A, Charuvastra A, Carapezza R, Stolbach B C. Y and Green B L (2011) 'Treatment of Complex PTSD: Results of the ISTSS Expert Clinician Survey on Best Practices', *Journal of Traumatic Stress* 24 (6): 615-627
٣. (علاج اضطراب الكرب التالي للضّح المعقّد: نتيجة الدراسة الاستطلاعية في سنّ العمل المتبّعة، التي قام بها خبراء سريريون من الجمعية الدولية لدراسات الكرب الرّضعي) <https://onlinelibrary.wiley.com/doi/full/10.1002/pts.20697>
٤. Levine J (2017) 'Mental health issues in survivors of sex trafficking', *Cogent Medicine* 4:1278841 (مسائل الصّحة العقلية عند الناجيات من الأتجار بالجنس) <http://dx.doi.org/10.1080/2331205X.2017.1278841>
٥. World Health Organization and Columbia University (2016) *Group Interpersonal Therapy (IPT) for Depression*, mhGAP bit.ly/mhGAP-AR (المعالجة الجماعية التفاعلية للاكتئاب) World Health Organization (2015) mhGAP.٥ *Humanitarian Intervention Guide* (دليل التّدخل الإنساني الذي يصدره برنامج العمل على سدّ الخلل في ميدان الصّحة العقلية) bit.ly/mhGAP-HIG-AR
٦. Ventevogel P, van Ommeren M, Schilperoord M and Saxena S (2015) 'Improving mental health care in humanitarian emergencies', *Bulletin of the World Health Organization* 93: 666-666A (تحسين رعاية الصّحة العقلية في حالات الطوارئ الإنسانية) <https://doi.org/10.2471/BLT.15.156919>

الاستغلال الجنسي، قد تراها أشراكاً دخلت فيها مخدوعةً عن نفسها. وربما دَفَعَتْ نَاجِيَةً عَنْ نَفْسِهَا حُضُورَ الدروس التعليمية أو التدريب الوظيفي. فاستبقي في ذهنك احتمال أن تنجم عن هذه الأحوال مشاعر الخيبة وضيق الخلق ولوم النفس، مما يختصّ بما ضاع من الناجيات من الوقت والفرصة بسبب الأتجار بهنّ. فترسلّ في إدخال التعاطف في العلاقة، وحلّ المشكلات بالتعاون، فتعيّن بذلك الناجيات على اتباع ما يحتاجن إليه من خطوات توصلهنّ إلى الخدمات.

أنّ تزيّد فرص الدعم الاجتماعيّ: إذ ينتج من الانتهاك المُخَطِّط له والعزلة القسرية، اللذان يفرضهما المتجرون، الخزيّ والعجز المكتسب وانعدام الثقة. ومهما يبلغ مدح آثار التي تخلفها مشاركة الناجيات في فرق دعم الناجين، فليس يُبلّغ في مدحها حدّ المغالاة. ذلك أنّ الذي تقيّمه الناجيات الأخرى وقادة الفرق من إثبات صّحة المشاعر، والاتصال الانفعالي، والدعم العملي، إنما يحثّ النساء على تعرّف الاعتماد على الغير وإنماء العلاقات. وأما فرق تربية الأطفال، فتجعل الناجيات قادرات على تلقي الدعم من غير أمهات، فيتشاركن المشاعر في حيز آمن، ويحصلن على الإرشاد والمعلومات. ويمكن أن يولي قائد الفرق 'مواضع الشرا' اهتماماً خاصاً؛ ومواضع الشرا هي أونة يثبّر فيها تفاعل الناجيات والأطفال عندهنّ مشاعر صغف النفس والحال، أو يوقّع فيهنّ من استحضار ما جرى عليهنّ قبل من الأعراض الشياء الكثير. ولكن بالعمل في خلال هذه الأونة بالفرقة، يمكن أن تشعر الأمهات أنّهن يفهمنّ فهماً أحسن، وأنهنّ مجهزة تجهيزاً أفضل، لإدارة ما عليهنّ من مسؤولية تربية الأطفال، وربما زادت ثقتهنّ بأنفسهنّ حين يتصلن بأطفالهنّ اتصالاً حميماً.

أنّ تُعالج الصدمة غير المباشرة: إذ يمكن أن تنتقل آثار الصدمة من عزلة وشل فاعلية إلى باذلي الرعاية. ولذا ينبغي لموصلي الخدمات إجراء التشاور الجماعي، وتزويد الموظفين بما يحتاجون إليه من الإشراف. وينبغي لهم أيضاً أن يتأملوا إنشاء قيادة مشتركة في فرق الدعم. فمن شأنه هذا أن يُفسح لإنعام نظر الموظفين وإتاحة إشراف الأقران، مع تقليل إرهاق الموظف الناجم عن عمله على حدّته، وتحمله هو وحده ثقل القصة المرّة.

أنّ يُنظّر في ما أوصت به منظمة الصحة العالمية والمفوضية السامية للأمم المتحدة لشؤون اللاجئين، من إدراج